١٧

قصص في الطّاعة

شعبان مصطفى قزامل

سلسلة قصص الأخلاق

١٧

قصص في
الطاعة

إعداد
شعبان مصطفى قزامل

قصصٌ في الطَّاعةِ

الطَّائِعَاتُ

لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الَّذي يأْمُرُ فيهِ المؤمنَاتِ بارْتِدَاءِ الخِمَارِ (وَهُوَ ثَوْبٌ يغَطِّي الرَّأسَ وفَتْحَةَ الصَّدْرِ) قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ [النور: ٣١]، سَارَعَتِ المؤمِنَاتُ إلى تَنْفِيذِ أمْرِ اللَّهِ، فشَقَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ قِطْعَةً مِنْ ثِيَابِهَا وَاخْتَمَرَتْ بِها تَصْدِيقاً وإيماناً بِمَا أنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

وكَانَ الرَّجُلُ مِنْ الصَّحَابَةِ إذَا أخْبَرَ نِسَاءَهُ وبَنَاتِهِ بِهَذِهِ الآيَةِ يُسَارِعْنَ إلى تَنْفِيذِ أمْرِ اللَّهِ.

تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ : يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَل، لَمَّا أنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ (الْمُرْطُ: كِسَاءٌ تَلُفُّهُ الْمَرْأةُ حَوْلَ رَأسِهَا» فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

* * * * *

طَاعَةٌ وَزَوَاجٌ

كَانَ جُلَيْبِيبٌ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ رَجُلاً فَقِيراً، فَخَطَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَةَ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ، فَتَرَدَّدَ الأَنْصَارِيُّ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: أُشَاوِرُ أُمَّهَا.

فَلَمَّا ذَهَبَ الأَنْصَارِيُّ إلى بَيْتِهِ أَخْبَرَ امْرَأَتَهُ بِالأَمْرِ، فَلَمْ تُوَافِقْ على زَوَاجِ جُلَيْبِيبٍ مِنِ ابْنَتِهَا.

فَقَامَ الأَنْصَارِيُّ لِيذْهَبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّ الفَتَاةِ، فَخَرَجَتِ البِنْتُ، وقَالَتْ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا.

فَقَالَتْ الفَتَاةُ: أَتَرُدُّونَ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ! ادْفَعُونِي إِلَيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَنِي.

فَذَهَبَ الأَنْصَارِيُّ إلى الرَّسُولِ ﷺ، وأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتِ الْفَتَاةُ.

فَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ جُلَيبِيباً، فَبَارَكَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْفَتَاةِ؛ لِحُسْنِ طَاعَتِهَا لأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

* * * * *

خَاتَمُ الذَّهَبِ

ذَاتَ يومٍ، رَأى رسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً يلْبَسُ خاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، فَنَزَعَ الخَاتَمَ مِنْ إصْبَعِ الرَّجُلِ ورَمَاهُ، وقَالَ لَهُ: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إلى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيطْرَحُهَا فِي يَدِهِ».

فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ طَلَبَ أحَدُ الصَّحَابَةِ مِنَ الرَّجُلِ أنْ يأخُذَ خَاتَمَهُ لِينْتَفِعَ بِهِ أَوْ يَبِيعَهُ وَيأخُذَ ثَمَنَهُ، فَرَفَضَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، وَقَالَ: واللهِ لا آخُذُهُ وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَلَمْ يكُنِ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ نَهَى الرَّجُلَ عَنِ الانْتِفَاعِ بِالْخَاتَمِ، وإِنَّمَا نَهَاهُ عَنْ لِبْسِهِ، وَلَكِنَّ الصَّحَابِي فَعَلَ ذَلِكَ حُبّاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزِيادَةً فِي طاعَتِه.

وَذَلِكَ لأَنَّ الذَّهَبَ يَحْرُمُ لِبْسُهُ على الرِّجَالِ، وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ لِلنِّسَاءِ، وَيَجُوزُ لَهُنَّ أَنْ يستَعْمِلْنَهُ للزِّينَةِ والتَّجَمُّلِ.

* * * * *

فَضِيلَةُ الطَّاعَةِ

كَانَ جَيشُ الْمُسْلِمِينَ يقَاتِلُ جَيشَ الرُّومِ فِـي بِـلادِ الشَّـامِ بِقِيادَةِ خَالدِ بْنِ الوَلِيدِ رَضِي اللَّهُ عَنْه، فأَرْسَلَ أَمِـيرُ المُـؤمِنينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ رِسَالَةً إلى خَالدِ مَـع أَبِـي عُبَيدَة بْنِ الجرَّاحِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ، يأمُرُهُ فِيها أَنْ يَتْرُكَ قِيادَةَ الجَيشِ، ويسَلِّمَهَا لأَبِي عُبَيدَةَ.

فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو عُبَيدَة ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ إلى الشَّـامِ وَجَـدَ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ مَعَ الرُّومِ قَدْ بَدأَتْ، فَـانْتَظَرَ حتَّـى انْتَهـى الْقِتَـالُ وانْتَصرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ سَلَّمَ الرِّسَالةَ لِخَالَدِ رَضِي اللَّهُ عَنْه.

فَلَمَّا قَرأَ خَالدٌ الرِّسَالةَ لَمْ يتَرَدَّدْ لَحْظَةً فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَة، وَتَنْفِيذ أمْرِهِ، وَسَلَّمَ أَبـا عُبَيـدَةَ قِيـادَةَ الجَـيشِ. وصَـارَ خَالِـدٌ جُنْدِيّاً كعَامَّةِ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ، ولَمْ يمْنَعْهُ عَزْلُهُ عَنِ القِيادَةِ مِنْ مُوَاصلَة الْجِهَادِ.

وَهكَذَا كَانَ خَالدٌ نُمُوذجاً حَسناً لِطَاعَةِ الْمُسْـلِمِ لأَمِـيرِهِ، والامْتِثَالِ لأَوَامِرِهِ.

* * * * *

وَصيَّةٌ بِالطَّاعَةِ

ذَاتَ يوم، صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى الصَّحَابَةِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمْ، وخَطَبَ فِيهم، ووعَظَهُمْ، فَبكُوا. فَقَالَ قَائلٌ: يا رَسُولَ اللَّه! كأنَّ هَذِه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إلينَا؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ (يَقْصدُ بِذَلِكَ طَاعَةَ وَلِيِّ الأمْرِ أَوِ الْحَاكِمِ أَوِ الْمَسْؤُولِ)، وإنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِيْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً، فعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّينَ، فتَمَسَّكُوا بِهَا، وعَضُّوا عليهَا بالنَّوَاجِذِ (الأسْنَان).

وإِيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». وفي هَذِهِ الوَصِيَّةِ نَرَى أَهَمِّيَّةَ طَاعَةِ الحَاكِمِ فِيمَا لا يَعْصِي اللَّهَ، وطَاعَةَ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ باتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، والتَّشَبُّهِ بِالْصَّحَابَةِ وأفْعَالِهِم رِضْوَانُ اللَّهِ عليهِمْ أجْمَعِينَ.

الأَمِيرَانِ

اخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ العَاصِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ لِيَكُونَ أَميرًا على جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَوْقِعَةِ ذَاتِ السَّلاسِلِ، فَلَمَّا وَصَلَ عَمْرٌو بالْجَيْشِ ورَأى كَثْرَةَ الأعْدَاءِ، أرْسَلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ يَطْلُبُ مِنْهُ مَدَداً.

فأَرْسَلَ إليهِ الرَّسُولُ ﷺ مَدَداً مِنْ الْمُهَاجِرِينَ الأوَّلِيْنَ بِقِيادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجرَّاحِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ ، وأَمَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ ألاَّ يَخْتَلِفَ مَعَ عَمْرٍو.

فَلَمَّا قَدِمَ مَدَدُ الْمُهَاجِرِينَ على عَمْرٍو قَالَ لَهُمْ: أَنَا أَمِيرُكُمْ. فَقَالَ المُهَاجِرُونَ: بَلْ أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ، وأَبُو عُبَيْدَةَ أَمِيرُ المُهَاجِرِينَ. فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّما أَنْتُمْ مَدَدٌ مُدِدْتُهُ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ إِصرارَ عَمْرٍو على مَوْقِفِهِ تَذَكَّرَ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ أَلاَّ يَخْتَلِفُ مَعَ عَمْرٍو، فَقَالَ لَهُ: تَعْلَمُ يا عَمْرُو؛ أَنَّ آخِرَ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ قَالَ: «إِذَا قَدِمْتَ على صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا»، وإِنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي لأُطِيعَنَّكَ، ثُمَّ سَلَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ الإِمارَةَ لعَمْرٍو خَشْيَةَ أَنْ يَعْصِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَو تَحْدُثَ فِتْنَةٌ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ.

ضَوَابِطُ الطَّاعَةِ

اخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - خَلِيفَةً للرَّسُولِ ﷺ، فَقَامَ لِيخْطُبَ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وأَثْنَى عليه بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عليكُمْ ولَسْتُ بخَيرِكُمْ، فإِنْ أَحْسَنْتُ فأَعِينُونِيْ، وإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي. الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ، والكَذِبُ خِيانَةٌ. والضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حتى أُزِيحَ عِلَّتَهُ (أُزِيلَ شِدَّتَهُ ومِحْنَتَهُ) إِنْ شَاءَ الله، والقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ حتى آخُذَ مِنْهُ الحَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لاَ يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بالذُّلِّ، ولاَ يَشِيعُ قَوْمٌ قَطُّ الفَاحِشَةَ إِلاَّ عَمَّهُمُ الله بالبَلاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ ورَسُولَهُ، فإِذَا عَصَيْتُ الله ورسُولَهُ فَلاَ طَاعَةَ لِي عليكُمْ».

وهكَذَا وَضَّحَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - لِلْمُسْلِمِينَ ضَوَابِطَ طَاعَةِ وَلِيِّ الأَمْرِ فِي ظِلِّ طَاعَةِ اللَّهِ.

الأَمِيرُ والنَّارُ

أرسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلْقَمَةَ بْنَ مِحْرِزٍ - رَضِي اللَّهُ عَنْه - قَائداً على سَرِيَّةٍ (جُزْءٍ مِنَ الْجَيشِ). وَفِي الطَّرِيقِ، أرْسَلَ عَلْقَمَةُ مَجْموعَةً مِنَ الجيشِ إلى جِهَةٍ أُخْرَى، وَجَعَلَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ حُذَافَةَ - رَضِي اللَّهُ عَنْه - أميرًا علَيهِمْ، وكَانَ عَبْدُ الله رَجُلاً مَرِحاً يحِبُّ الدُّعَابَةَ والْمِزَاحَ.

وأثْنَاءَ الطَّرِيقِ، تَوَقَّفَ عَبْدُ الله وَمَنْ مَعَهُ ونَزَلُوا لِيسْتَرِيحُوا، فَأوْقَدُوا نَاراً، وكَانَتْ فُرْصَةً لِعَبْدِ الله لِيُمَارِسَ بَعْضَ مُدَاعَبَاته، فقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: ألَيسَ لِي علَيكُمُ السَّمْعَ والطَّاعَةَ؟ قَالُوا: بَلَى.

وهُنَا فاجَأَ عَبْدُ اللَّهِ الجَمِيعَ بِأَنْ أمَرَهُمْ أَنْ يُلْقُوا بأنْفُسِهِمْ فِي النَّارِ طاعةً لأمِيرِهِمْ. فَلمَّا رَأى الأمِيرُ ذَلِكَ مَنَعَهُمْ، وقَالَ: إنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعكُمْ.

فلمَّا عَادَ القَوْمُ ذَكَرُوا مَا حَدَثَ لِرَسُولِ الله ﷺ.

فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَمَرَكُمْ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلا تُطِيعُوهُ».

* * * * *

الابْنُ العَاصِي

دَعَا نُوحٌ -عليه السَّلامُ- قَوْمَهُ إلى عِبادَةِ اللَّهِ -تَعَالى- مُدَّةً طَوِيلةً مِنَ الزَّمَنِ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ إلاَّ القَلِيلُ مِنْهُمْ، واسْتَمرَّ البَاقُونَ فِي كُفْرِهِمْ وعِصْيانِهِمْ، فَدَعَا نُوحٌ -عليهِ السَّلامُ- رَبَّهُ أَنْ يُهْلِكُ الكُفَّارَ، فَأَوْحَى اللهُ إليهِ أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً، فلَمَّا انْتَهَى نُوحٌ مِنْ صُنْعِ السَّفِينَةِ، أَمرَهُ اللَّهُ أَنْ يرْكَبَهَا هُوَ والَّذِينَ آمنُوا مَعَهُ، وأَنْ يأخُذَ مَعَهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ زَوْجَينِ اثْنَينِ.

وَفعَلَ نُوحٌ -عليهِ السَّلامُ- مَا أمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وأمْطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَراً شَدِيداً، وتَفجَّرَ المَاءُ مِنْ الأرْضِ، وارْتَفعَ المَاءُ، وحَمَلَ السَّفِينَةَ وسَارَ بِهَا.

وكَانَ لِنُوحٍ -عليهِ السَّلامُ- ابنٌ كَافِرٌ، فَنادَاهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]. لَكِنَّ الابْنَ العَاصِيْ أَصَرَّ علَى كُفْرِهِ بِاللهِ، وَعَدمِ طاعَتِهِ لأَبِيهِ، وقَالَ لَهُ: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، وارْتَفعَ الْمَاءُ، فَغَرِقَ الابْنُ العَاصِيْ مَعَ الكَافِرِينَ.

* * * * *

سُجُودُ المَلائِكَةُ

لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ ـ تَعَالى ـ آدَمَ ـ عليه السَّلامُ ـ أَمَرَ الملائكَةَ أنْ تَسْجُدَ لَهُ ، فأطَاعَتِ المَلائكَةُ أمْرَ اللَّه ، فَسَجَدُوا جَمِيعاً ، إلاَّ إبْلِيسَ ، فَإنَّهُ عَصَى أَمْرَ اللَّهِ ، ورَفَضَ أنْ يسْجُدَ لآدَمَ عليهِ السَّلامُ.

فَطَرَدَ اللَّهُ إبْلِيسَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَزَاءَ عِصْيانِهِ لأَمْرِ اللَّهِ.

وأسْكَنَ اللَّهُ آدَمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وزَوْجَهُ الجنَّةَ ، وأمَرَهُمَا ألاَّ يأْكُلاَ مِنْ شَجَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ.

فَلَمَّا رأى إبْلِيسُ ذَلِكَ ، أرادَ أنْ يُخْرِجَهُمَا مِنَ الجنَّةِ ، فَوَسْوَسَ إليهِمَا أنْ يَأْكُلاَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا اللهُ عَنْهَا ، وادَّعَى أنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا.

فَعَصَى آدَمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ربَّهُ ، وأكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، فأخْرَجَهُمَا اللهُ مِنْ الجنَّةِ، وأسْكَنَهُمَا الأَرْضَ جَزَاءَ عِصْيانِهِمَا أمْرَ اللَّهِ.

* * * * *

نَهْيٌ وَطَاعَةٌ

عِنْدَمَا نَزَلَتْ آيةُ تَحْرِيمِ الخَمْرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ خَرَجَ مُنَادٍ يُنَادِيْ فِي الأَسْواقِ والضَّوَاحِيْ، يُخْبِرُ الْمُسْلِمِينَ بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ.

وفِي هَذَا الوَقْتِ، كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ يَسْقِيْ القَوْمَ خَمْراً فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأَنَسٍ: أُخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ؟

فَخَرَجَ أَنَسٌ فَوَجَدَ الْمُنَادِي يقُولُ: ألا إنَّ الْخَمْرَ حُرِّمَتْ.

فَدَخَلَ أَنَسٌ وأَخْبَرَ القَوْمَ، فَتَرَكَ أَبُو طَلْحَةَ مَا بِيدِه، وأَمَرَ أَنَساً أَنْ يَسْكُبَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَمْرِ، فَسَكَبَهَا أَنَسٌ، وكَذَلِكَ فَعَلَ كُلُّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ خَمْرٌ، فَمَلأَتِ الْخَمْرُ طُرُقَ المدِينَةِ.

سَاعَةُ الْحِصَارِ

أَثْنَاءَ حِصَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَدِينَةِ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ، طَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَقُومَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيعْرِفَ أَخْبَارَ المشْرِكِينَ، قَائلاً: «مَنْ رَجُلٌ يقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ، ثُمَّ يرْجِعُ.. أَسْأَلُ اللَّهَ ـ تَعَالى ـ أَنْ يكُونَ رَفِيقِيْ فِي الْجَنَّة». فَلَمْ يقُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

فَنَادَى ﷺ حُذَيفَةَ بْنَ اليَمَانِ ﷺ، وقَالَ لَهُ: «ياحُذَيفَةُ، اذْهَبْ فادْخُلْ فِي القَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يصْنَعُونَ، ولاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حتى تَأْتِينَا».

فأطَاعَ حُذَيفَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ إلى مُعَسكَرِ الْمُشْرِكِينَ، وَعَـرَفَ أخْبَـارَهُمْ. ولَمَّـا أرَادَ أنْ يَنصَـرِفَ رَأى أبَـا سُـفْيانَ قَائِـدَ المشْرِكِينَ يقِفُ بِمُفْرَدِه، فأرَادَ أنْ يَرْمِيَهُ بِسَهْمٍ فيقْتُلَـهُ، ولَكنَّـهُ تَـذَكَّرَ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ إليهِ بألاَّ يفعَلَ شَـيئاً حتَّـى يأْتِيَـهُ، فَلَـمْ يَقْتُـلْ أبَـا سُفْيانَ طَاعَةً لأمْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

طَاعَةٌ وَفِدَاءٌ

ذَاتَ لَيلَةٍ، رَأَى نَبِيُّ اللهِ إبْرَاهِيمُ الخَلِيـلُ ـ عليـهِ السَّـلامُ ـ فِـي مَنَامِه أنَّهُ يَذْبَحُ ابْنَهُ الوَحِيدَ إسْمَاعِيلَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وتَكَـرَّرَتْ هَـذِهِ الرُّؤْيا، فَصدَّقَهَا إبْرَاهِيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وعَرَفَ أنَّهَا وَحْيٌ مِنَ اللَّـه، وأنَّ اللهَ يُرِيدُ أنْ يَخْتَبِرَهُ، فَنَادَى ابْنَهُ إسْمَاعِيلَ ـ عليهِ السَّـلامُ ـ وَقَـالَ لَهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصَّـافَّات: ١٠٢]. فَلَـمْ يتَـرَدَّدِ الابْنُ ـ وكَـانَ فَـتىً صَـغِيراً ـ، وقَـالَ طَاعَـةً للهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. وأطَـاعَ إبْـرَاهِيمُ وإسْـمَاعِيلُ أمْـرَ رَبِّهِمَا، وأمْسَكَ إبْرَاهِيمُ ـ عليـهِ السَّـلامُ ـ السِّـكِّينَ، واسْـتَعَدَّ لِـذَبْحِ وَلَدِهِ، ولَكِنَّهُ سَـمِعَ صَـوْتاً ينَادِيـهِ: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وأنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ كَبْشـاً عَظِيمـاً؛ فِـدَاءً لإسْـمَاعِيلَ ـ عليـهِ السَّلامُ ـ لِحُسْنِ طَاعَتِهِ، واسْتِجَابَتِهِ لأوَامِرِ رَبِّهِ.

عِصْيَانٌ وَهَزِيمَةٌ

فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، قَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ جَيشَ المُسْلِمِينَ، وأمَرَ جَمَاعَةً مِنَ الرُّمَاة (الذينَ يَقْذِفُونَ السِّهَام) أنْ يَصْعَدُوا فَوْقَ جَبَلِ أُحُدٍ؛ لِيَحْمُوا المُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ، وألاَّ يَتْرُكُوا أماكِنَهُمْ مَهْمَا حَدَثَ.

واشْتَدَّ القِتَالُ، وانْتَصرَ المسْلمُونَ فِي البِدَايَة، فَفَرَّ الأعْدَاءُ مِنْ أمَامِهِمْ، فَلَمَّا رَأى الرُّمَاةُ أنَّ المُشْرِكِينَ فَرُّوا ظَنُّوا أنَّ المَعْرَكَةَ قَد انْتَهَتْ؛ فَتَركُوا أمَاكِنَهُمْ، ونَزَلُوا لِيجْمَعُوا الغَنَائِمَ الَّتِي تَرَكَهَا الْمُشْرِكُونَ، فَذَكَّرَهُمْ أمِيرُهُمْ بأوَامِرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَسْمَعُوا، وَلَمْ يُطِيعُوا، وذَهَبُوا مِنْ أجْلِ الغَنَائِمِ.

فَلَمَّا رَأى فُرْسَانُ قُرَيشٍ أنَّ رُمَاةَ المسْلِمِينَ قَدْ نَزَلُوا مِنْ فَوْقِ الجَبَلِ رَجَعُوا وهَاجَمُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ؛ فَهَزَمُوهُمْ، وهكَذَا كَانَ عَدَمُ طَاعَةِ الرُّمَاةِ لأمْرِ الرَّسُولِ ﷺ سَبَباً فِي هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ.

* * * * *

الصَّحَابِيُّ الطَّائِعُ

ذَاتَ يوْمٍ، ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - إلى مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنَ المسْجِدِ سَمِعَ الرَّسُولَ ﷺ يقُولُ وَهُوَ يَخْطُبُ فِي المسْلِمين: «اجْلِسُوا».

فَجلَسَ عَبْدُ اللَّهِ مكَانَهُ طَاعَةً لأمْرِهِ ﷺ، بِرغْمِ أنَّهُ لَمْ يكُنْ قَدْ وَصَلَ إلى المسْجِدِ، وظَلَّ جَالِساً حتَّى فرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ خُطْبَتِهِ.

وكَانَ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ لأنَّهُ رأى بَعْضَ المُسْلِمِينَ وَاقِفِينَ أثْنَاءَ الخُطْبَةِ.

فَقِيلَ للنَّبِيِّ ﷺ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ذَلِكَ ابْنُ رَوَاحَةَ سَمِعَكَ وأنْتَ تَقُولُ للنَّاسِ: اجْلِسُوا؛ فَجَلَسَ فِي مكَانِهِ.

فَقَالَ النبيُّ ﷺ لعَبْدِ الله رَضِي اللَّهُ عَنْه: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصاً على طَوَاعِيَةِ اللَّهِ، وطَوَاعِيَةِ رَسُولِهِ».

* * * * *

قِصَصٌ فِي الطَّاعَةِ

الطَّاعَةُ خُلُقٌ عَظِيمٌ، أمَرَنَا اللَّهُ بِهِ، قَالَ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. وقَالَ ﷺ: «عَلَى المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أحَبَّ وكَرِهَ؛ إلاَّ أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ فَلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ».

وطَاعَةُ اللَّهِ هِي العَمَلُ بِكِتَابِهِ العَزِيزِ، وطَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ هِي اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ عَنْ رَبِّهِ، وطَاعَةُ أُولِي الأمرِ إنَّمَا تَكُونُ فِي المَعْرُوفِ.

ولَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ للطَّائِعِينَ ثَواباً عَظِيماً: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

وَهَذِهِ القِصَصُ الَّتِي قَرَأنَاهَا تُقَدِّمُ لَنَا نَمَاذِجَ لِهَذَا الخُلُقِ، لِنَتَعَلَّمَ مِنْهَا، ونَأخُذَ مَا فِيهَا مِنْ عِبْرَةٍ وعِظَةٍ.

* * * * *

سلسلة قصص في الأخلاق

١ - قصص في الأخلاص	١١- قصص في الرحمة
٢ - قصص في الأمـــانة	١٢- قصص في الشجاعة
٣ - قصص في الإيثـــار	١٣- قصص في الشُّــكر
٤ - قصص في البـِـــر	١٤- قصص في الشُّورى
٥ - قصص في التّعاون	١٥- قصص في الصَّبر
٦ - قصص في التّواضع	١٦- قصص في الصِّدق
٧ - قصص في التّوكل	١٧- قصص في الطّاعة
٨ - قصص في الحبّ	١٨- قصص في العــدل
٩ - قصص في الحِلم	١٩- قصص في العفــو
١٠-قصص في الحيــاء	٢٠- قصص في الكــرم

٢١- قصص في الوفـــاء

٨١٠٠٥٦